# شعراء طوعوا الصمت ليقولوا ما لا تقدر الكلمات على ترجمته

### الناقد المغربي صلاح بوسريف يدعو إلى إعادة قراءة الشعر

الوضع متشابه في العالم العربي، حيث تعج أقسام الآداب في الجامعات والندوات والتظاهرات الأدبية والمنابر الإعلامية الثقافية وحتى أرفف المكتبات بالكثير من الدراسات النقدية سواء في شكل كتب أو محاضرات، والتي تتناول تجارب الأدباء الرواد، وتغفل أغلبها التجارب المعاصرة اليوم، إذ توقف اجتهاد النقاد والدارسين عند معايير منتصف القرن العشــرين، يكررونها وكأنها مقدســات، وهو ما ثار ضده الناقد المغربي



عواد علي كاتب عراقي

ولأأخذ الشاعر والناقد المغربي صلاح بوسريف في كتابه الجديد "شبعرية الصمت: الأفقّ الشعري" النقاد على اكتفائهم بحصر ما يقرأونه من شعر في ماضيهم، وعدم خروجهم منه لينظـروا في الكتابـات والتجارب التي حاءت بعد السبعينات من القرن الماضي، بما في ذلك المقترحات النظرية التي جاءت محايثة لبعض هذه

ويرى بوسريف أن الكتابات النظرية والنقدية تحتاج اليوم إلى مراجعات فى المفاهيم والرؤى والتصورات، خصوصا ما يتعلق بالشيعر، إذ أن ما نقرأه في هذا السياق كتابات لم تخرج عن نصوص السبعينات وما قبلها، وكأن لا شيء تغير في الشعر، وأنَّ ما حدث من تحولات في

تلك الحقبة من الزمن هو نفسه ما يجري من تحولات في الوضع الشعري الراهن.

#### من القصيدة إلى الكتابة

يدعو الناقد في كتابه، الصادر حديثا عن دار فضاءات للنشر والتوزيع في عمان، إلىٰ إعادة قراءة الشعر في نصوصه، وفي تجارِبه، وفي الأعمال الشعرية التي تشكّل أفق تجربة لها ملامحها، سواء من حيث الإنتاج أو من حيث القيمــة الإيداعية، لافتا إلى أن من يقاربون الشعر اليوم يكتفون بأدوات وأليات ومفاهيم قراءة التجارب السابقة نفسها، وكأننا إزاء معيار جديد تضمره هذه القراءات في ذهابها إلى الشعر، مثل معيار الموزون والنثري، والشعر واللاشسعر. وهذا، في حسد ذاته، تعبير عن الوعى النقدي المحافظ، الذي اقتنع بالمكتسبات، أو ما اعتبره مكتسبات. ويذهب بوسريف إلى أن هذا المنحى من

المقاربة، الذي يفرزه العقل ويذهب إليه، لا يجد من يستمع إليه، أو يتأمله ويقرأه لأن النمط الذي يتحول بحكم العادة إلى نظام هو ما يحكم الرؤية والفهم، وهو ما تعمل المؤسسة على قبوله، بوصفه نظامًا، وطريقة في تصريف المعاني والأفكار؛ فالشعر اليوم غير شعر الرواد، والبناء اليوم غير بناء الأمس، والمعمار الشعري ليس هو معمار "القصيدة"، فالثاني مأهول ومسكون، والأول في طور البنّاء، هو بداية دائمة، ومساحات الفراغ، وما فيه من تجويفات وبياضات، هو أكثر مما فيه من امتلاء واكتظاظ. ويبين الناقد أن ثمة مسافة بين شعر

الرواد وشعر اليوم ينبغى أن الناخذها في الاعتبار قبل أن نحكم ونصنف ونستنبط ما في المقترحات الشعرية المغايرة والجذرية من اختراقات، ليس قياسا بما سبقها، حتى لا نسقط في معيارية ما سبق، بل بما حدث في هذه الأعمال والتجارب من انتهاكات، ومن جـرأة في توسيع دوال الشعر، والخروج به من "القصيدة" إلى الكتابة،

ومن الكلام إلى الصمت، ومن هيمنة اللغة إلى حضور الدوال المحانثة لها، مثل الفراغات والبياضات، والأشكال

ويؤكد بوسريف أن ما يحدث في توزيع الدوال، وما تتبادله من مواقع، وغيرها من العناصر البانية للنص، يتجلئ فيها الوعي الكتابي، لا الإملائي الصوتي الذي هـو مـن صميم "القصيدة"، التي لـم يتخلص السابقون من المعاصرين من هيمنتها علىٰ ثقافتهم وتكوينهم، وعلىٰ وعيهم الشعري الجمالي.

### لغة الصمت

لقد أجبرتنا طبيعة المدينة الحديثة، حسب رأيه، على العيش في صخب الشوارع والأزقة والفضاءات العامة التي لا مساحة فيها للصمت والفراغ، هـى مدن صاخبة، مساحات الصمت

فيها لم تعـد متاحة، إلاَّ في الأطراف، أو بعض الأطراف التي يمكن فيها الصمت، وعندما نطفو على السطح نسمعه، نتأمله جيدا، ومن خلاله نستشـعر قهر

علىٰ الشباطئ وتذبل أو تتلاشيي".

ما نحن داخله من ضجيج ولغط.

وانعكس هذا الوضع على كتابتنا، عليىٰ الرواية والقصة والمسرح، كما انعكس على الموسيقي، "التي صارت في أغلبها امتلاء وأصواتاً عالية، لا مساحة فيها للصمت أو السكون. التموج في البحر، هو في جوهره حركات بعقبها سكون، اللحظة التي نلتقط فيها السكون أو الصمت هي اللحظة ذاتها التي فيها ندرك إيقاع الصــوت، إيقاع الموجات التي تنكســر

ويعتقد بوسريف أن الوجود على الأرض لم يعد وجودا بالصمت والفراغ،

إذ فقد صفاءه وانسجامه لتهيمن الثرثرة والصراخ والضجيج والأصوات العالية الحادة والقاسية على السمع والجسد، مؤكدا أن لغة الصمت أصيبت بالصراخ، بالتشوش والاضطراب لتتحول إلى صخب وثرثرة مجردة من كل حس إنساني وعاطفي، وتحولها إلىٰ محض أصوات قاسية خالية من الحياة، لأنها فقدت الصمت الذي يمنحها

ويرى الناقد أن الصمت هو نفسه البياض، ونقط الحذف، والعلامات والإشسارات التي لا تُقرأ بل تُدرك، لأنها إيماءات توحي بشسيء ما، لا تقوله أو تكتبه. "الصمت، بهذا المعنى، يقول ما تكون الكلمات غير كافية لترجمته، كما يقول دافيد لوبروطون، في كتابه 'الصمت لغة المعنى والوجود'، بل إنه

ترك الكاتب الصفحة البيضاء، حيث القارئ ينتظر جوابا، وإذا ما استعمل كثيرا نقط التعليق أو الحذف كما هو الحال في الأدب الياباني".

> ً الشعر اليوم غير شعر الرواد، والبناء اليوم غير بناء الأمس، والمعمار الشعري ليس هو معمار «القصيدة»

يذكر أن صلاح بوسريف حاصل

علىٰ شبهادة الدكتوراه في اللغة العربية

وأدابها في موضوع الكتابة في

مرادف للسـر، وفي جوهره إبداع إذا ما الشـعر العربي المعاصـر، وهو رئيس سابق لاتحاد كتاب المغرب، فرع الدار البيضاء، وعضو مُؤسِّس لبيت الشعر

محاولة لمقاومة ضجيج العالم (لوحة للفنانة نور بهجت)

من أعماله الشبعرية "فاكهة الليل"، "علي إثر سماء"، "شبحر النوم"، "شبهوات العاشق"، "شرفة يتيمة" في جزئين "خبــز العائلة" و"حجر الفلاســفة". وله في الكتابة عن الشيعر تسيعة مؤلفات منها "رهانات الحداثة، أفق لأشكال مُحتمَلَـة"، "المغايـرة والاختـلاف في الشِسعر المغربي المعاصس"، "مضايق الشُّعر: مقدمات لما بعد القصيدة"، "الكتابي والشــفاهي في الشبعر المغربي المعاصير"، "ديوان الشعر المغربي المعاصر" بالاشتراك مع الشاعر مصطفىٰ النيسابوري، و"حداثة الكتابة في الشعر العربي المعاصر".

# الفلسطينيون طيور التمّ كما يراهم فهمي جدعان

모 عدّ الله المناب "طائر التمّ.. حكايات جنى الخُطئ والأيام"، السيرة الذاتية للمفكر الفلسطيني فهمي جدعان. ويمرزج المؤلف في سيرته الذاتية بين الهمّين الشخصي والجمعي في توثيقه لمسيرة حياته التي شكّلت تُكبة 1948 مفتتحاً أساسياً لسردها، ومرجعية لرصد التحولات في المشهد العربي عبر أكثر من سبعة عقود.

ويبرز الكتاب بأسلوب يجمع بين وأثرت فيه.

والتوزيع، "إنها ليست مجرّد سـجل الكتابة الأدبية والفلسفية، المحطّات خاص لصاحبها، بل هي، في موازاة ذلك، . الحياتية المفصلية في مسيرة مؤلفه، سحِلً عامّ للذات الجمعيّة الفلسطينيّة، موثّقا علاقته بالأمكنة التي زارها وجال التي تشبه طيور التم في هجراتها الطويلة المضنية وصمتها على الألم فيها خلال رحلته الأكاديمية والبحثية، وقدرتها العظيمة على التحليق؛ ولذا ويتوقف عند أبرز الوجوه التي رافقته فإنّ كلّ تلك الآلام التي رصدها جدعان وكتب الشاعر زهير أبوشايب عن في هذه السيرة، لم تجعل منها سيرة 'ضْحيّـة' كما يُفترَض، بل حوّلتها إلى هذه السيرة، الصادرة عن الأهلية للنشر



فهمى جدعان مفكر يروي سيرة أجيال ووطن

أمثولة تراجيديّة يواجه فيها البطل أقداره بعناد، دون أن يكل أو ييأس أو يفكّر في النصر أو الهزيمة".

ويرى أبوشايب أن هذه السيرة "مغايرة"، لا لأنها ترصد "تغريبة" الجسد الفلسطيني خارج المكان فقط، بل لأنَّها "ترصد أيضاً حركة وعى مقاوم لـم يتبعثر، ولـم يغترب، ولـم تنِل منه "النكبة"، وهذا ما بجعلها نقبضاً فعلباً لمعنى البعثرة الذي تحفل به النصوص السيريّة الفلسطينيّة".

ويضيف أبوشيايب "أكثر ما شدّني في 'طائر التمّ'، بالإضافة إلى لذَّتها الأُدبيّة، تلك اللغة الجسورة المسننة التي لا تهادن ولا تراوغ ولا

تمرّ على الأشسياء مروراً أمناً، بل تخمش وتنكأ وتحفر وتخز وتترك علاماتها على كل شىيء"

خاتَماً بقوله إنّ أكثر ما يحتاج إليه كاتب السيرة هو "تلك الجسارة التي تؤهّله لا للنظر إلىٰ الخلف فقـط والتحـوّل علىٰ إثر ذلك إلى عمود من الملح، بل للتحديــق في عتمات

. الذات والعالم، والاجتراء على الرؤية". أما الناقد فيصل درّاج فيتحدث عن هذا الكتاب قائلاً "في كل سيرة ذاتية مَلْمَح روائي، وفي كلٍ كَتابة روائية طيف سيرة ذاتية"، مضيفاً أن جدعان جمع في "طائر التِّم" بين الرواية والسيرة، وأنتج سيرة روائية بصيغة الجمع، احتضنت تعددية زمنية واضحة المفاصل،

اســـتُهلِّت بالنكبة، وتابعت تحوّلات عالم عربى طويل الاحتضار، ورصدت أقدار "لاجئ" يلبِّي إرادته ولا ينصَّاع إلى أحد. ووفقاً لدرّاج، تتكشيف في "طائر التَـم" ذاكرة واسعة، احتفظت بجروح الزمان وبمتواليات من طلبة ومفكرين شهيرين، عرب وغير عرب، تعاملتُ معهم السيرة بمعيار الكيف الأخلاقي

والنزاهة الثقافية.

طائرالتم

ويؤكد درّاج أن جدعان "أنجز سيرة ذاتيسة يتكامسل فيها الأدبى والفلسسفى ببلاغة مركبة.. نسجَها بمتواليات حكائية متحاورة توسّطها 'لاجئ' غدا علَماً ثقافياً، متطور المعرفة".

ويذكر أن فهميي جدعان مفكر أردنسي مسن أصسول فلسطينية، من مواليد سنة 1940، في بلدة عين غـزال الفلسـطينية، درس الفلسفة في جامعة السوربون وحصل منها على شهادة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية وعلم

عرف جدعان بأرائه الجدلية حول الكثير من القضابا الفكرية المتعلقة

بالإسلام مثل النسوية الإسلامية والإسلام السياسي وغيرهما، ويربط جدعان جل أفكاره وتمثلاته الفلسفية في مشساغله كافة بمعين الوجدان، ونهر الحياة، وقوة الأمـل، فهذه في نظره من المحدّدات التي يعوّل عليها من أجل تعبيد السبيل أمام الأجيال القادمة،

الكلام سنة 1968.

والحيلولة دون إنتاج المزيد من الآفاق المسـدودة. ويدعـو في مجمـل نتاجه الفكري، ويخاصـة كتبه الأخيـرة، إلى تحرير الإسلام من التصوّرات والتمثّلات والمواقف التى تفسد صورته وتجور عليها، وتيسِّر إصابته والإساءة إليه، وربما أيضًا إقصاءه من لـوح الوجود

ويرى جدعان أنه ما من طريق للعبور والخروج إلا بالمزيد من الدعوة والدفاع عن "مبادئ الحداثة"، من خلال الجهود المتضافرة التى يبذلها المثقفون المستنيرون، والمفكرون، ومنابر الرأى، والمؤسسات الثقافية الحديثة، والضغط المستمر على الدولة من أجل إحداث التطويرات الضروريّة.

جدعان جمع في كتابه بين الرواية والسيرة الذاتية، وأنتج سيرة روائية بصيغة الجمع، قائمة على التعددية الزمنية

وفي كتابه الأخير نرى المفكر في جانب أخر منه، الجانب الحياتي، وفي تصوراته لرحلته مع الفكر واللغة والإبداع، وتصوراته الثقافية لمسيرته ومسيرة الكثير من المفكرين والأدباء الآخرين، ليخلص إلى صورة شاملة ومقاربة مختلفة عن فلسطين